الإنفاق الخيري في المدينة النبوية
وأثره في الحياة العامة
خلال العصرين الأيوبي والمملوكي
(٥٦٩ - ٩٢٣هـ/ ١١٧٤ - ١٥١٧م)

ح مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العباد، عبير بنت حمد بن علي

الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٩ - ٩٢٣هـ/ ١١٧٤ - ١٥١٧م). عبير بنت حمد بن علي العباد

ردمك: ٤-٢٤-٨٢٥٦-٦٠٣-٩٧٨

١- المدينة المنورة - تاريخ - عصر المماليك ٢- المدينة المنورة - تاريخ - العصر الأيوبي أ. العنوان

ديوي ١٢٢، ٩٥٣ ١٤٤٢/٥٦٠

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٥٦٠

ردمك: ٤-٢٤-٨٢٥٦-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

جميع الحقوق محفوظة

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أسسه الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز - يرحمه الله - عام ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م

Al-Madinah Al-Munawwarah Research & Studies Center

المملكة العربية السعودية | المدينة المنورة 42318 - 6131 | 4536 طريق الملك عبدالله (الدائري الثاني)

3662 المدينة المنورة 41481 info@mrsc.org.sa www.mrsc.org.sa

+966 (14) 8314145 +966 (14) 8314046 9 2002 1344

الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة

خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٩ - ٩٢٣هـ/ ١١٧٤ - ١٥١٧م)

تأليف

عبير بنت حمد بن علي العباد

١٤٤٢هـ- ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب القاضي عبد الرحيم البيساني (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) إلىٰ العماد الأصفهاني مُعتذرًا عن كلام استدركه عليه: «إني رأيتُ أنَّهُ لا يكتبُ أحدٌ كتابًا في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيّرَ هذا لكانَ أحسن، ولو زيدَ هذا لكانَ يُسْتَحْسَن، ولو قُدِّمَ هذا لكانَ أفْضَل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العِبَر وهو دليل علىٰ استيلاء النقص علىٰ جُملةِ البشر»[1]

(١) حاجي خليفة، مصطفىٰ بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، لبنان: بيروت، (د، ط) (د، ت)، ج١، ص١٨.

إهداء

إلىٰ شمعة مُتقدة تنير ظُلمة حياتي. . . إلىٰ منْ بوجودها أكتسب قوةً ومحبةً لا حدود لها. . . إلىٰ منْ عرفت معها معنىٰ الحياة

إلىٰ والدتي الغالية

لولوة بنت عبد العزيز العصيل

إلىٰ منْ سعىٰ وشقىٰ لأنعم بالراحةِ والهناء. . . إلىٰ الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح. . . إلىٰ الذي علمني أن ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبر

إلىٰ والدي العزيز

حمد بن علي العباد

إلىٰ منْ غرس في نفسي مُكابدة الصعاب وحمل معي هم ارتقاء المعالي. . .

إلىٰ الذي قدّر انشغالي عنه. . . زوجي

الأستاذ فيصل بن أحمد الزهراني

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والحمد والثناء لله تعالىٰ علىٰ عظيم فضله وجزيل كرمه أن أتمَّ نعمته عليَّ ووفقني لإنجاز هذا العمل، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه وتعالىٰ. وأقدم جزيل الشكر والتقدير والعرفان لأستاذي الدكتور/ بكري عمر رحمه الذي تفضل بالإشراف علىٰ هذه الرسالة، وأعطىٰ الباحث الكثير من وقته الثمين وجهده، علىٰ الرغم من مشاغله العلمية والعملية وفقه الله. كما أشكره علىٰ ما أسداه إليّ من نُصح وتوجيهات وإرشاد، حيث كان لذلك الأثر الواضح في إثراء هذه الرسالة وظهورها بمظهر لائق ومشرف إن شاء الله، فجزاه الله كل خير وأدام عليه التوفيق والنجاح والسداد لما يحبه ويرضاه.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم العمير الذي كان له أيادِ بيضاء في الإشراف والتوجيه في بداية البحث، وأشكر كل منْ ساعدني علىٰ إتمام هذا العمل وقدَّم لي العون ومدَّ لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمام هذا البحث وأخصُّ بالذكر الدكتور علي حسين الشرفي الذي أرشدني كثيراً لما يخدم بحثي. والدكتورة منيرة الرميح التي ساهمت في تذليل بعض الصعوبات التي واجهتها عند اعداد البحث.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلىٰ كلٍ من وكيل الكلية للدراسات العليا سعادة الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن راشد السنيدي،

ورئيس قسم التاريخ سعادة الأستاذ الدكتور/ علي بن صالح المحيميد على جهودهم المبذولة والمتميزة، داعية الله أن يجعل ذلك في موازين أعمالهم.

والشكر موصول إلى الأساتذة أعضاء لجنة الحُكم والمناقشة كما أشكر لجنة الحكم والمناقشة التي سهرت على تقويم هذا العمل حتى يخرج بصورة مرضية، ممثلة في أستاذي الدكتور/ إبراهيم بن حمود المشيقح عضو لجنة الحكم والمناقشة، وسعادة الدكتورة/ لمياء أحمد شافعي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

يعرف الوقف بأنه الحبس والمنع، ومعناه: «تحبيس الأصل، وتسبيل المنفعة»[1]، وقد حث الله عز وجل في كتابه العزيز المسلمين على الإنفاق والتصدق والوقف.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [آل عمران:٢٥٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنّ النبي ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بخَيْبَرَ، فأتَى النبيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ

(١) المغني (٥ / ٥٨٥).
(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٢٥٥).

مَالًا قَطُّ هو أَنْفَسُ عِندِي منه، فَما تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قالَ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**»، قالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُبْتَاعُ، وَلَا يُورَثُ، وَلَا يُوهَبُ، قالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ في الفُقَرَاءِ، وفي القُرْبىَ، وفي الرِّقَابِ، وفي سَبيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لا جُنَاحَ علَى مَن وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ منها بالمعروفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غيرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ)[٣].

وأمام هذه التوجيهات المهمة نحو إفادة الناس تسابق المسلمون في توقيف الأوقاف بحثًا عن الأجر المستمر الذي لا ينقطع في حياته وبعد مماته.

قال الشَّافعيُّ: «**بلغني أنَّ ثمانين صحابيًّا من الأنصار تصدَّقوا بصدقات محرمات**»[٤].

وكان الشَّافعيُّ يُسمِّي الأوقاف: الصَّدقات المحرمات؛ ويقصد بالمحرمات أي: أنَّه يحرم بيعها[٥].

وتنوعت مشاريع الوقف، فمنها ما يخدم الدين وشعائره مثل: وقف المساجد والمصاحف والكتب النافعة، ومنها ما يخدم الذرية وإبعاد شبح الفاقة والحاجة عنهم فأوقفوا الأوقاف على ذرياتهم عبر تعاقب السنين، ومنها ما يخص إحصان الشباب والفتيات بالزواج، فكانت الأوقاف تخصص لهذا الغرض، وأوقفت بعض نساء المسلمين الموسرات الحلي الفاخر لإعارته للمتزوجات في ليلة العرس، لإدخال البهجة والسرور على مستوري الحال من العوائل.

(٣) المصدر نفسه ، نفس الصفحة.
(٤) مغني المحتاج إلى ألفاظ المنهاج(٣/ ٥٢٣).
(٥) المصدر نفسه، نفس الصفحة.

وأوقفوا على الفقراء والمساكين الأربطة التي يتخذونها سكنًا لهم ولأسرهم، كما شمل الوقف توفير المال بحفر الآبار، وإعمار العيون وقنوات الري، وأعطوا للتعليم نصيبا كبيرا من الوقف كبناء المدارس، والمكتبات، وسكن الطلاب والمدرسين، ودفع جميع نفقات التعليم، إضافة إلى وقف المستشفيات ومراكز العلاج وصرف الدواء.

ولأهمية الوقف في حياة المسلمين صُنفت المصنفات في أحكام الوقف، وأفردت في كتب الفقه، كما تناول المؤرخون الوقف برصد وتتبع مجالات الوقف، وأثر الوقف وفضله على المجتمع الإسلامي وترابطه، وفي هذا السياق كان مجال هذه الرسالة العلمية بعنوان:: الإنفاق الخيري في المدينة النبوية، وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٩- ٩٢٣هـ/ ١١٧٤- ١٥١٧م) للباحثة: عبير بنت حمد العباد.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

** ** **

الاختصارات المستخدمة

الرمز	المدلول
ق	قسم
ط	طبعة
ج	جزء
ص	صفحة
مج	مجلد
هـ	هجري
م	ميلادي
(د، ت)	بدون تاريخ نشر
ت	توفي
ع	العدد بالنسبة للدوريات

ملخص الرسالة

الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

(٥٦٩- ٩٢٣هـ/١١٧٤- ١٥١٧م)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده **وبعد** ، ،

فقد أكَّدت النصوص الشرعية على أهمية الإنفاق في سبيل الله وضرورته ، وذلك لما له من أثر إيجابي فعَّال في بناء المجتمع ، وإشاعة أجواء العزة والكرامة ، والقضاء على حالات الفقر والعوز .

وشهدت كل من الدولتين الأيوبية والمملوكية نشاطًا ملحوظًا في الإنفاق الخيري ، الذي أخذت فيه المدينة النبوية بحظٍ وافرٍ ، لما لها من مكانة في نفوس المسلمين الذين ينفقون على أهلها ومجاوريها بسخاء .

وهذه الدراسة تعكس ضروب الإنفاق الخيري وأثره على مجتمع المدينة ، ومن أجل الوصول لهذا الهدف قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول .

تناولت في التمهيد مجمل الأوضاع السياسية في المدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي .

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن موارد الإنفاق الخيري كالأوقاف

والصدقات والزكاة والوصايا والكفارات والنذور، واستعرضت أبرز المساهمات الخيرية الماديّة المتمثلة في إسهام الخُلفاء والسلاطين والحُكَّام والأُمراء وكبار المسؤولين والأعيان ومشايخ الحرم والخُدَّام والمجاورين والنساء، كما تطرقتُ للإنفاق العيني الذي يشمل إنفاق الأطعمة، والتمور، والملابس، والذهب والفضة.

وتحدثت في الفصل الثاني عن مجالات الإنفاق الخيري، ممثلةً في جهود المحسنين في الإنفاق على مساجد المدينة النبوية، والإنفاق على الخدمات العامة، واهتمام المنفقين بإنشاء المدارس، والسكن، وتوفير المياه، وتأمين الصحة. ثمَّ سردت جانبًا من المساهمات المبذولة من أجل الإنفاق على خدمة زوار المدينة كإيواء ابن السبيل، وتأمين الطُّرق والعناية بها، وتوفير المياه في الطرق لأبناء السبيل.

أما الفصل الثالث فقد بينت فيه أثر الإنفاق الخيري على الحياة العملية والدينية والاقتصادية والاجتماعية في العصرين الأيوبي والمملوكي.

ثمّ جاءت الخاتمة مُتضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وبها أنهيت الرسالة.

والله والموفق

الباحثة

عبير بنت حمد بن علي العباد

المُقَدِّمَة

التعريف بالموضوع وأهميته

أسباب اختيار الموضوع

أهداف الدراسة

مشكلة البحث

الدراسات السابقة

منهج الدراسة وإجراءاتها

خطة البحث

مصادر الدراسة

المُقَدِّمَة

الحمد لله القائل في كتابه الكريم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] والصلاة والسلام على نبيه الكريم القائل في سُنته المطهرة: «مَا مِنْ يَومٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ويَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[2] وبعد..

التعريف بالموضوع وأهميته:

تكتسب هذه الدراسة أهمية كبيرة لأن موضوع الإنفاق الخيري في المدينة النبوية من الموضوعات الحضارية المهمة، وركيزة أساسية من ركائز الحضارة في هذا البلد ولأنها تتعلق بدراسة حياة الإنسان ونشاطه الخيري في مجتمعه. وتوضح دور السلاطين والحُكَّام وأعيان المجتمع المدني في إثراء الإنفاق الخيري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي. كما تؤرخ هذه الدراسة للتأثير الحضاري للإنفاق الخيري على النشاط الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والديني وانعكاسه على موارد الدولة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦١.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ /٨٧٠م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١ (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ج٢، ص١١٥.

ولذا رأت الباحثة تسليط الضوء على هذا الموضوع الهام، وبعد اطلاعها على العديد من المصادر التاريخية والمراجع العلمية، استقر الرأي بفضل الله ﷻ على دراسة: الإنفاق الخيري في المدينة النبوية وأثره في الحياة العامة خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (٥٦٩-٩٢٣هـ /١١٧٤- ١٥١٧م).

أسباب اختيار الموضوع:

ومن خلال الاطلاع على أبعاد هذا الموضوع وبعض جوانبه في المصادر الأولية للبحث وبقراءة المراجع ذات العلاقة تكونت لدى الباحثة أسباب موضوعية ودواعي علمية كانت هي الأساس في اختيارها لهذه المرحلة الزمنية، وهذه الأسباب والدواعي كالتالي:

(١) مكانة المدينة النبوية الدينية والاقتصادية والسياسية والعلمية.

(٢) أهمية دراسة الإنفاق الخيري ومدى ارتباطه بسيرة السلاطين والحكام خلال العصرين الأيوبي والمملوكي.

(٣) إن موضوع الإنفاق الخيري في المدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي لم يفرد مُسبقًا برسالة علمية مفصلة، فهو موضوع جديد في بابه.

أهداف الدراسة:

كما سعت الباحثة من خلال دراستها للإنفاق الخيري في المدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، لتحقيق الأهداف التالية:

(١) تسليط الضوء على مجالات الإنفاق الخيري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي.

(٢) التعرُّف على مدى عناية المسلمين في الإسهام بالإنفاق الخيري لمجتمع المدينة وزُوار المسجد النبوي.

(٣) التعرُّف على أثر الإنفاق الخيري على الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية والدينية.

مشكلة البحث:

وتتمثل مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

- ما مدى عناية المسلمين بالإنفاق الخيري في المدينة النبوية؟
- ما مجالات الإنفاق الخيري خلال العصرين الأيوبي والمملوكي؟
- ما أثر الإنفاق الخيري على الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، وانعكاس ذلك على مجتمع المدينة النبوية؟

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على قاعدة معلومات الرسائل الجامعية، والاتصال ببعض الأساتذة المختصين، ومركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وأيضًا المكتبات الجامعية والمكتبات العامة وهي: مكتبة الأمير سلمان ابن عبد العزيز، ومكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة،

ودارة الملك عبد العزيز، وعدد من مواقع الجامعات الداخلية والخارجية للاستفسار عن الموضوع، تبين أن الموضوع لم يُدرس دراسة علمية مُستقلة، وما اطلعت عليه من دراسات لا تعدو كونها دراسات عامة. ولعل أبرز تلك الدراسات:

١. دراسة بعنوان: **المدينة المنورة في العصر المملوكي**، قدمها الباحث عبد الرحمن مديرس المديرس إلى جامعة الملك سعود لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، وتمت مناقشتها عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، وقد ركز الباحث في الفصل الأول على دراسة الأوضاع السياسية، ومن ثمَّ تطرق في الفصل الثاني إلى دراسة الحياة الاقتصادية، أما في الفصل الثالث فقد تحدث عن الحياة الاجتماعية، وتناول في الفصل الرابع الأحوال الدينية، وأخيرًا تكلم الباحث في الفصل الخامس في دراسته عن الحركة العلمية بشكل عام. وستفيد هذه الدراسة فيما يختص بجوانب الخدمات العامة كالمدارس والأربطة التي أشار إليها الباحث في بضع صفحات، بالإضافة إلى الاقتصار على حدود ما سمحت به دراسته الشاملة عن المدينة المنورة حيث تناول الأوقاف والصدقات إلا أنه قصرها فقط على الموارد العلمية للعلماء وطلبة العلم ونحوها من مجالات الإنفاق الخيري في بضع صفحات؛ ولم يتطرق في بحثه لمساهمات السلاطين والحكام والأمراء وغيرهم في المدينة النبوية، ومن ذلك يتبين أن الإنفاق الخيري يحتاج لدراسة أوفى من تلك الدراسة على الرغم من أهميتها.

٢. دراسة بعنوان: **أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي**، قدمها الباحث أحمد هاشم أحمد بدرشيني، إلى قسم الدراسات العليا التاريخية

والحضارية في جامعة أم القرىٰ، لنيل درجة الدكتوراه في قسم التاريخ، وتمت مناقشتها عام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، وقد ركز الباحث في فصول دراسته علىٰ الأوقاف في بلاد الحرمين في العصر المملوكي من خلال الوثائق التاريخية، حيث تناول في الفصل الأول اهتمام المماليك بالحرمين الشريفين، أما في الفصل الثاني من دراسته فقد تكلم عن أوقاف الحرمين الشريفين في مصر، وفي المدينتين المقدسين مكة والمدينة، وخصص الباحث الفصل الثالث للحديث عن التنظيمات الإدارية للوقف في الدولة المملوكية في المدينتين المقدستين، ووضَّح الباحث في الفصل الرابع أثر الوقف علىٰ الحياة العامة في المدينتين، وستفيد هذه الدراسة في المعلومات المتعلقة بأوقاف المسجد النبوي في العصر المملوكي فقط، إذ أن الدراسة شملت أوقاف مكة المشرفة والمدينة النبوية، وأشار الباحث في دراسته إلىٰ ميناء جدة وينبع، ولم تقتصر الدراسة علىٰ الإنفاق الخيري في المدينة النبوية بالتالي تحتاج المدينة لدراسة وافية لسدِّ تلك الفجوة في تاريخها. كما ستعتمد الدراسة علىٰ مصادر أُخرىٰ لم يرجع لها الباحث.

٣. بحث بعنوان: **الرعاية الاجتماعية وأثرها علىٰ الحياة العامة في المدينة خلال العصر المملوكي**، للأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن راشد السنيدي، حيث ركَّز الباحث في فصول دراسته علىٰ الرعاية الاجتماعية، وميادينها، ومظاهرها، وأسباب تطورها في العصر المملوكي. وتناول أيضا المرافق الخدمية، والعناية بها بإيجاز. وفي آخر البحث ذكر أثر الرعاية الاجتماعية علىٰ الحياة العامة. وستفيد هذه الدراسة التصور العام للرعاية الاجتماعية في المدينة النبوية في العصر المملوكي.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

اعتمدت الباحثة في الدراسة على المنهجين: الوصفي والتحليلي؛ حيث يستخدم المنهج الأول لوصف مظاهر الإنفاق الخيري المادية كالأبنية والأسبلة، ونحوها. أما المنهج التحليلي فسيطبق حين تحليل نماذج العمل الخيري ومدى تأثيرها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المدينة النبوية.

أما ما يتعلق بإجراءات الدراسة فتبدأ بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع، وتبويبها وتوزيعها على فصول الرسالة ومباحثها حسب الخُطة المعتمدة.

خطة البحث:

وبناءً على المنهج السابق وتحقيقًا لأهداف الدراسة فقد قسمت الباحثة البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، ثم ذيلت البحث بقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، مع إضافة نماذج من المستفيدين من الخدمات الخيرية، وقائمة تضم أسماء بعض الفقراء في المدينة، وقائمة أخرى بأسماء من اشتهروا بأعمال البر والإحسان، وأُخرى تشمل بعض الأيتام في المدينة النبوية.

وقسمت التمهيد إلى مبحثين تحدثت في المبحث الأول عن الأوضاع السياسية في المدينة النبوية خلال العصر الأيوبي والعصر المملوكي.

أما الفصل الأول فقد تحدثت فيه عن الإنفاق الخيري بشقيه المادي والعيني، فتتبعت موارد الإنفاق الخيري، وقدمت شرحًا لمجالات الإنفاق المادي والعيني.

وتضمن الفصل الثاني مجالات الإنفاق الخيري التي تشمل الإنفاق على المساجد والإنفاق على الخدمات العامة والإنفاق على خدمة زُوار المدينة النبوية.

وفي الفصل الثالث تناولت أثر الإنفاق الخيري في الحياة العامة، والذي اشتمل على أثر الإنفاق على الحياة الاقتصادية وأثره على الحياة الاجتماعية وأثره على الحياة العلمية والدينية. ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها.

مصادر الدراسة:

وقد اعتمدت الباحثة في دراسته على العديد من المصادر أبرزها:

نصيحة المشاور وتسلية المجاور: لابي محمد بن عبد الله بن فرحون (ت٧٦٩هـ /١٣٦٧م) فهو كتاب مهم وثري بالمعلومات الغزيرة عن أهل المدينة النبوية وجهودهم في الإنفاق الخيري المادي والعيني وأفاد الباحث في عرض صورة شاملة عن التكافل الاجتماعي في المدينة النبوية وأبرز الشخصيات.

المغانم المطابة في معالم طابة: لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، الذي تناول في مصنفه تراجم أعلام المدينة النبوية من أمراء ومشايخ وخدام وذكر من سكنوا المدينة وكانت لهم آثار صالحة ومبرات جارية، ورتب التراجم على حروف الهجاء. وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وافيه عن بعض الشخصيات التي بذلت الخير من الخدام والمجاورين ومحبي الخير.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وكتاب **إنباء الغمر بأنباء العمر**، لابن حجر، شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)، وقد استفدت من هذين المصدرين في الحصول على تراجم وافيه لأشهر الشخصيات العامة والخاصة، مع إبراز جهودها ومشاركاتها في الإنفاق الخيري.

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة: للمؤرخ شمس الدين محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م). ذكر فيه تراجم لأهل المدينة ومن قطنها من الغرباء، وقد شملت تراجم الصحابة والتابعين وغيرهم حتى سنة وفاته، ورتب هذه التراجم على حروف المعجم، وقد استفدت كثيرًا من خلال تراجم أُمراء المدينة النبوية التي حملت بين ثناياها معلومات وافره عن الأوضاع السياسية في المدينة النبوية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، كما أفادتني كثيرًا في التعرف على العديد من الشخصيات التي سعت لبذل الخير من السلاطين وخُدَّام المسجد النبوي والأعيان والمجاورين. وقد اعتمدتُ على طبعتين من هذا الكتاب الأولى هي طبعة مركز بحوث ودراسات المدينة النبوية والتي اشتملت على ست أجزاء ولم تضم كل أجزاء الكتاب، الأمر الذي دعاني للاستعانة بطبعة أُخرى هي طبعة دار كنان والتي اشتملت على ثلاثة أجزاء ولكني اعتمدت على الجزء الثالث فقط وذلك لإكمال النقص في التراجم التي فُقدت في طبعة مركز بحوث ودارسات المدينة النبوية[١].

صبح الأعشى في صناعة الإنشا: لأحمد بن علي أحمد للقلقشندي (ت٨١٢هـ/١٤١٨م). وهذا الكتاب جامع لأصول وفنون عديدة لاسيما

(١) قام المركز بتحقيق الكتاب كاملًا في عشرة مجلدات بعد ما عثر على الجزء المفقود منه.

الكتابة النثرية، وقد رتبه المصنف على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة، والكتاب يُعَدُّ من المراجع الهامة فيما يخصُّ موارد الإنفاق الخيري.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م). وهو من المصادر التي ترجمت لأعلام مكة المشرفة ومن سكنها ومات بها إلا أنه أورد كثيرًا عن أعمال البر والخير في المدينة النبوية، وقد اعتمدت على طبعتين منه إحداهما طبعة مؤسسة الرسالة، والثانية طبعة السنة المحمدية بسبب استعارتي للكتاب من المكتبات الجامعية وقد أفادني كثيرًا في تراجم بعض رجال الإحسان.

وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى: لنور الدين علي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ/١٥٠٥م) وهو كتاب مُهم في دراسة معالم المدينة المنورة الطبيعية والعمرانية والجغرافية حيث اعتمدت عليه في الفصل الثاني.

الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة: لعبد القادر بن محمد الجزيري (ت٩٧٧هـ/١٥٨٨م)، ويُعَدُّ من الكتب الفريدة، فقد تتبع المؤلف كل ما يتعلق بإمارة الحج منذ عهد النبي ﷺ إلى سنة (٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م)، وقد أفادتني الدراسة كثيرًا في الفصل الأول من خلال تناول الصدقات الواصلة إلى المدينة النبوية في العصرين الأيوبي والمملوكي نتيجة مساهمات محبي الخير من السلاطين والأمراء خلال موسم الحج.

رحلة ابن جبير: للرحالة محمد بن أحمد المعروف بابن جبير (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، والذي أفادني في ذكر مواضع المياه في طريق المدينة النبوية ومدى الاستفادة منها.

تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار: لمحمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) واستفدت من الحقائق العلمية التي سردها من خلال مشاهداته في المدينة النبوية والتي أغفلها الكثير من المؤرخين.

أما الصعوبات التي واجهتني بعدما شرعت في عمل البحث:

عدم تصريح بعض المصادر بمقدار المبالغ التي أُنفقت أو نوعية الصدقة العينية.

شح المعلومات عن المدينة النبوية خلال العصر الأيوبي.

عدم وجود ترجمة كافية لبعض الشخصيات التي أنفقت في أوجه الخير.

لهذا وجدت نفسي أمام عمل يحتاج إلى صبر ومصابرة لكن بعد الاستعانة بالله واصلت العمل به حتى بلغ هذا المبلغ فله الحمد والمنة.

** ** **